العلمانيّة

مصطلح قابلٌ لكلّ تفسيرات الحداثة وما بعدها

أعدها: خضر إبراهيم

تعريفها : العلمانيّة Secularism : مصطلح إنكليزي مشتقّ من أصل لاتيني Seculum أي الفترة المعينة من الزمن.

تذكر المعاجم الحديثة في معاني Secular مرادفات عديدة منها : التذمّر الديني، ضدّ الربّانية، العرفية، والمادية الدنيوية.

وثمة من يتحدث عن اشتقاق العلمانية من العالم، فهي إذاً بمعنى العالمية، وربما أريد بها الفيزيقا في مقابل الميتافيزيقا.

لكن هناك تعريفات مختلفة للعلمانية، بعضها ينظر إليها من منظار فكري، من مثل أنّ : (العلمانية نظام عقلائي عام، تقوم فيه العلاقة بين الأحزاب والأفراد مع الدولة على أساس عقلي منسجم).

وهذا التعريف ناظر إلى جانب واحد من جوانب العلمانية المتشعّبة، لذا فإنه تعريف غير كامل.

وبعض التعريفات ينظر إلى المسار التكويني للعلمانية، والتي يُفترض خلالها انتقال الحقوق والوظائف، وحتى صلاحيات الكنيسة، للأنظمة غير الدينية. وثمة من يرى العلمانية (نظاماً فكرياً مترابطاً)، ظهر بعد عصر النهضة بوصفه مفهوماً أو رؤية كونيّة، يختلف اختلافاً جذرياً عن المفاهيم الحاكمة في القرون الوسطى، ويتمحور حول الإنسانية، والعقلانية، والتجربة.

بناءً على هذا، هناك إشارة إلى فصل الدين عن السياسة بشكل يضمن عدم تدخل أحدهما بالآخر إطلاقاً.

لقد تزامنت بدايات عصر النهضة مع إقصاء الكنيسة، وتجاهل الحتميات الإلهية الدينية. وهنا يمكن القول إن العوامل التي بلورت العلمانية تكمن في الإخفاقات ذاتها، التي عاشتها القرون الوسطى، ونذكر منها :

أ- قصور التعاليم والأحكام المسيحية :

إنّ سلطة الكنيسة النسبيّة ـ في بداية القرون الوسطى ـ تحولت إلى سلطة مطلقة في ما بعد، ممّا دفعها إلى الإستبداد باستعمال القوة.

ومع تظافر الرؤى الكونية، واتساع باب المعرفة، أعلن مخاطَبو الكنيسة أنّ من شروط حكومة الدين عليهم، تقديمها استدلالاً على كلّ ما تطرحه من معتقدات وقوانين، وهذا ما رفضته الكنيسة.

وهكذا، فإنّ عدم وجود نظام منسجم وعقلائي، سلب الكنيسة قوة الدّفاع عن نفسها بموضوعيّة، ولذلك طلب النّاس حذف المسيحيّة من المجتمع. زدْ على ذلك، التناقض الذي كانت تعيشه الكنيسة من أنها تنفرد بالحقائق والدلائل لنفسها، بدون ملاك رباني حصين يجنّبها التحريف، والخرافات الكثيرة التي بدأت تتضافر على الدين، الأمر الذي عرقل مسيرة التطور والتنمية. وبعد مرور فترة من الزمن، كان من الطبيعي أن تفقد الكنيسة مكانتها في المجتمع، وأن يتوجه الناس للبحث عن مذهب وقوانين جديدة تحترم مطالبهم. فقد كانت الكنيسة تتجاهل أبسط الحقوق الغريزية، كحب الإستطلاع، والبحث عن الحقيقة والدليل، وهو ميل طبيعي عند كل إنسان.

ب _ الإصلاح الديني :

النهضة الإصلاحية الدينية : هي نشاط شكّل عاملاً من عوامل إقصاء الدين عن المجتمع تدريجياً، وكان من أوائل المنظّرين لهذه الحركة (مارتن لوثر 1546-1483م)، فقد طرح آراء جديدة من أجل إصلاح وتحسين شريعة

(صك غفران) من القرون الوسطى!

المسيح، وإقامة الإستقرار فيها.

وقد أكّد على فكرة أنّ (كلّ شخص هو قسّيس نفسه)، إنطلاقاً من تأييده الفردية والتشجيع عليها، ولهذا السبب ترجم الأناجيل إلى الألمانية. وكان من جملة نظرياته المطروحة فصل الدين عن السياسة، وأنّ مسؤولية الكنيسة تنحصر بالإهتمام بالجوانب المعنوية الروحية فحسب.

وعلى أيّ حال، كانت النهضة الإصلاحية عاملاً مؤثراً في ظهور نمط فكري جديد، وقد ساعدت على اندحار الكنيسة، وظهور فلسفة سياسية جديدة.

وكان من عواقب هذه الحركة أيضاً، تناحر الفصائل الدينيّة في ما بينها، ممّا سبّب هتك حرمة الدين، ومن ثمّ تمهيد الطريق لظهور العلمانية. كان مارتن لوثر من القساوسة المسيحيين، وكسائر زملائه لم يكن يعتقد بلزوم وساطة القساوسة لفهم الأناجيل الأربعة، بل كان يذهب إلى أنّ الإنسان بإمكانه أن يؤدّي دور القسيس بنفسه، وبمعونة ما أُوتي من رؤى عقليّة يتمتع بها كلّ إنسان، لذا قرّر أن يقف بوجه التّحديات والخرافات المفتعلة التي نُسبت إلى كنيسة والدين.

وعلى هذا فقد خرج ذات يوم على الناس، و وقف في وسط المدينة حاملاً بيده مجموعة من (صكوك الغفران)، ليُمزّقها أمام الملأ العام، ودعا الناس إلى تحكيم عقولهم لفهم الدين باستقلالية.

وقد حارب مارتن لوثر عبادة الخرافات والتزمّت، لكنّ التمادي المفرط لدى الكنيسة لم يترك مجالاً للإصلاحات داخلها، ولم يبقَ أمامه سوى القضاء على الأنظمة والمؤسسات التي ترتبط بالدين، وبهذه الطريقة تهيّأت الأجواء لظهور العلمانية.

أما في ما يتعلّق بالقواعد الأساسية للفكر العلماني، فهي على الشكل التالي:

أ- الإتجاه الإنساني:

الإهتمام بالإنسان هو الهويّة الجديدة التي تبنّاها الفكر الغربي، واتخذت هذه النظرية الفكرية من الإنسان معياراً للتقويم.

ب- الإتجاه العقلي (العقلانية):

الأصالة العقلية من المذاهب الفكرية للعلمانية، وتعني منح العقل صلاحيات واسعة في إدراك الحقائق، فالحكم النهائي في الحياة البشرية يرجع بحسب هذه النظرية، للعقل لا غير، والمقصود بالعقل: ما استقلّ عن الوحي والإرشادات الدينية.

وهنا بالتحديد تكمن المفارقة، وتتجلى ردّة فعل الإتجاه (العقلاني) على الكنيسة ثم تعميم ردة الفعل هذه على الدين والديني عموماً.

يرى أصحاب هذا الإتجاه أنهم وحدهم الذين اعتمدوا العقل والعقلانية منهجاً وسبيلا... والحال أنّ من سبقهم وجاؤوا هم ليُصحّحوا منهجه؛ سواء الكنيسة أم الأجيال السابقة... ومن عاصرهم أو جاء بعدهم ممن لم يوافق على تفسيرهم للعقلانية، هؤلاء جميعاً يعتبرون أنفسهم عقلانيّين وأصحاب الإتجاه العقلي السليم.

ليست الإشكالية إذاً أن هناك من ينفي الإتجاه العقلي وهناك من يرفضه، بل الإشكالية هي الخلاف في تحديد معنى العقل والعقلانية وبالتالي معنى الإتجاه العقلي.

لقد كانت للعقل والفكر، في ما قبل عصر النهضة، منزلة وأهمية في الأديان الأخرى.

وجاءت «العقلانية» في عصر النهضة لتنفي عما قبلها أيّ عقلانية، وتدّعي حصرية العقلانية بها، في غفلة عن حقيقة العقل والعقلانية وغفلة عن التفريق بين العقل والفكر. فليس كلّ تفكير عقليّاً في حين أنّ كلّ عقلي فكر سليم، وفي غفلة عن أنّ العقل السليم هو ما تسالم عليه العقلاء.

أدّت هذه الغفلات في حقيقة الأمر إلى وضع العقل في عصر النهضة مقابل الدين حتى أصبح أساساً في آلية الفكر الغربي وامتداداته.

علم الكلام

الدفاع بالجدل عن حقّانية الدّين

يُعتبر علم الكلام من أكثر المفاهيم التي حفل بها التراث الثقافي العربي والإسلامي منذ القرن الثالث الهجري. وقد عرّف العلماء هذا العلم بعبارات تنمّ عن اختلاف نظرتهم إلى هويّته و وظيفته، ودوره، وغايته.

وهكذا، قدّم العلماء المسلمون على مدى بضعة قرون تعريفات متعددة في بيانهم لماهية علم الكلام. في حين اصطبغ كلّ منها بلون صناعة صاحبه، أو المنظومة الفكرية التي ينتمي إليها. ولكن على الرغم من الإختلاف الحاصل في تعريفه، بقي العلماء على اتفاق حول أنّه علمٌ للدفاع عن الدين والشريعة الإلهية.

في ما يلي أبرز ما جاء من تعريفات لعلم الكلام:

· **أبو نصر الفارابي**، المعلم الثاني (٣٣٩-٢٦٠هـ)، يقول: «الكلام صناعةٌ يُقتدَرُ بها الإنسان على نصرة الأفعال والآراء التي صرّح بها واضع الملّة، وتزييفُ كلِّ ما خالفه من الأقاويل».

· **إبن بابويه القمّي** المعروف بالشيخ الصّدوق (ت ٣٨١هـ)، يعتبر وظيفة المتكلّم الرّد على المخالفين بالإستعانة بكلام الله وأحاديث الرّسول والأئمة، أو عن طريق تحليل مقولاتهم للرّد عليها وإبطالها.

· **أبو حيّان التوحيدي** (٣٨٠-٣١٠هـ)، عرّف الكلام بأنه باب من الإعتبار في أصول الدين ويدور النظر فيه على محض العقل. والإعتبار فيه ينقسم بين دقيق ينفرد العقل به، وبين جليل يُفزَعُ إلى كتاب الله تعالى فيه.

· **أبو جعفر الطوسي** (٤٦٠-٣٨٥هـ) فقد عرّفه بأنه العلم الذي يُبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، والمبدأ والمعاد على قانون الشّرع.

· **العلاّمة الحلّي** (٧٢٦-٦٤٨هـ)، يُمكن الإستنباط من كلامه أنّه يعتبر علم الكلام طريقاً لتحصيل العلم بواجب الوجود.

· **ابن خلدون** (٨٠٨-٧٣٢هـ) يعرف علم الكلام بأنه «علم يتضمن الحِجاج (الدفاع) عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة».

· **سيد شريف الجُرجاني** (٨١٦-٧٤٠هـ) المنطقي الحاذق وشارح كتاب المواقف، وممّا يقول: «الكلام هو العلم بالقواعد الشرعية الإعتقادية المكتسبة عن الأدلة».

· **عبدالرزّاق اللاّهيجي** (ت ١٠٥١م) وهو من أبرز متكلّمي الشيعة الإمامية، يُعرّفه بالقول: «الكلام صناعة نظرية يُقتدَر بها على إثبات العقائد الدينية».

· **مرتضى مطهري** (١٩٧٩-١٩١٩م) وهو من مفكّري وعلماء ايران المعاصرين، يقول: «يكفي أن نقول في تعريف علم الكلام الإسلامي بأنّه العلم الذي يبحث في أصول الدين الإسلامي، ليتُمّ تحديد ما هو من أصول الدّين وما ليس منها. وكيف وبأيّ دليل يتمّ إثبات ذلك. ومن ثم يأخذ على عاتقه تقديم الإجابات الشافية للشكوك والشّبهات الواردة على هذه الأصول».

ومهما يكن من التعريفات المتعددة لعلم الكلام، فإنّ غايته تبقى معروفة لدى الجميع وهي كما يقول التفتازاني – أن يصير الإيمان «التصديق بالأحكام الشرعية متيقّناً محكماً لا تزلزله شُبَهُ المبطلين، ومنفعته في الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل، وفي الآخرة النجاة من المترتّب على سوء الإعتقاد».

وبحسب المؤرّخين، فإنّ من أسباب نشأة علم الكلام أو تعاظمه الإنفتاح الحضاريّ بين بلاد الإسلام والخارج. وخصوصاً المواجهة التي حصلت مع توافد الفكر الفلسفي اليوناني والأفكار الأخرى، حيث كان من الطبيعي أن يتصدّى العلماء المسلمون بالدراسة والتحليل بحيث لا تؤدي الأفكار الوافدة إلى إفساد التعاليم الدينية والثقافية الإسلامية في ذلك الوقت. وفي هذا المعنى يكون علم الكلام، هو علم الدفاع عن العقيدة الدينية بالأساليب المختلفة المنطقية، والفلسفية، والقرآنية وكل العلوم النقلية الأخرى.

قاموس الشعائر

نقم، ونقمة :

نَ قِ مَ : نقم عليه بوزن "ضرب" فهو ناقم، أي عتب عليه.

ونقم الامر "بوزن ضرب" كرهه.

ونقم "بوزن فهم"، لغة فيهما.

وانتقم الله منه عاقبه. والإسم منه **النَّقِمَة** والجمع **نَقِمات** ونَقِم مثل كلمة وكلمات وكلم.

وإن شئت قلت **نِقْمَة ونِقَم** مثل نِعْمَة ونِعَم.

مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر، ص 346 (بتصرف يسير)

إنتقم منه أي عاقبه، والإسم منه النقمة، وهي الأخذ بالعقوبة. والجمع نقمات. ونقمة ككلمة وكلمات وكلم، قال الجوهري: وإن شئت سكنت القاف ونقلت حركتها إلى النون، فقلت **نِقْمَة** والجمع نِقَم **كنعمة** ونعم. **ونقمت** على الرجل **بالفتح** أنقِم بالكسر، فأنا ناقم: إذا عتبت عليه. وعن الكسائي : نِقمت بالكسر لغة.

مجمع البحرين ، الشيخ الطريحي ، ج 4 ، ص 366 (بتصرف يسير)

والنتيجة العملية هي أن الصحيح :

- نقم عليه بفتح النون والقاف ونقم بفتح النون وكسر القاف.
- نَقِمَة وجمعها نَقِمات أو نِقْمَة وجمعها نِقَم.
- **ولا يصح أن تقول :** النَقمة بفتح النون وتسكين القاف. ولا النَقمات بفتح النون المشددة وفتح القاف.

قل ولا تقل

قل: **الضباط البسلاء** والباسلون، ولاتقل: **الضباط البواسل**.

قل: **الخطة** الإقتصادية ولا تقل: **الخِطة** الإقتصادية.

قل: **بالرِّفاء** والبنين، ولا تقل: **بالرفاه** والبنين.

قل: **ينبغي لك** ولا تقل: **ينبغي عليك**

قل: **أعتذر من** التقصير أو من الذنب. ولا تقل: **أعتذر عن**...

من كتاب «قل ولا تقل» للدكتور مصطفى جواد (بتصرف يسير).

توضيح :

البواسل: جمع مؤنث. **يصح : النساء البواسل**

حِكَم

من مواعظ
لقمان الحكيم لإبنه

يا بني :

- **إنّ الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.**
- **إمتنع مما يخرج من فيك، فإنك ما سكتّ سالم، وإنما ينبغي لك من القول ما ينفعك.**
- **إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الأخرى، فدارٌ أنت إليها تسير أقرب من دارٍ أنت عنها تباعد.**
- **إياك والدَّين، فإنه ذلٌ النهار همّ الليل.**
- **من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمُّه.**
- **نقل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.**
- **لا تخاصم في علم الله، فإنّ علم الله لا يُدرك ولا يُحصى.**
- **إتّعظ بالناس قبل أن يتعظوا بك.**
- **إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلاّ فاحذره.**
- **إذا كنت في بيت الغير فاحفظ عينك.**
- **لا تكن حلواً فتُأكل، ولا مرّاً فتُلفظ.**
- **من لا يملك لسانه يندم، ومن يُكثر الكلام يُشتم.**

رأي

رحيل المفكر المغربي محمد عابد الجابري

العقل العربي يودّع كبير نقّاده

د. إدريس هاني

غادر الجابري إلى مثواه بعدما طارح ودافع عن مشاريعه وواصل صموده السياسي على الهامش إن لم نقل وفق لعبة التعليق العضوي. يمكن أن يكون المثقف عضوياً مفتوحاً على قضايا أمته من دون عضوية في حزب مغلق. اليوم سيصبح نقد العقل العربي منتجاً كلاسيكياً ربما ـ لا ندري كيف ـ ستقرأه الأجيال القادمة بنفس مختلف تماما. ولع بابن رشد الحفيد حتى الثمالة، وتطلب منه الأمر أن يقلب عالي التراث أسفله ليجد لفيلسوف قرطبة المكانة التي ارتآها حقيقة به. وانهمّ بابن خلدون والشاطبي وابن حزم ليجعل من التجربة الأندلسية عاصمة عن عقل مشرقي مستقيل نتيجة تهرمسه السينوي. أكبرت فيه ولعه الفكري ونضاله السياسي لكن عبت فيه غلوه في تقطيع التراث وجرف المعرفة بجارفة الأيديولوجيا. كان مشروعه ردة فعل مساوية في المقدار معاكسة في الاتجاه لتاريخانية العروي. قدر المغرب أن يكون الجابري منتجا لاستفزاز أيديولوجي عروي، كما سيكون طه عبد الرحمن منتجا لاستفزاز أيديولوجي جابري. وما يعاب هنا عليه ليس فيه بدعا. فمثقفونا لم ينظروا إلى نقادهم بعين الرضا، ولا وقفوا عند مقالاتهم بروح رياضية. ومثل ذلك فعل الجابري مثل غيره ومثل كل المغاربة ، حيث لم يهتم ولم يلتفت. ولا عيب في ما ليس فيه باحثنا بدع، فهو المزاج المغربي الذي أضرّ بالفكر والسياسة والدين وجعل المعنى يتلاشى في مصارع العلماء.

كان في السياسة داعية كتلة تاريخية لكنه في الفكر ولع بالتقطيع والقطائع. نافح عن الديمقراطية ودافع عن تراث الغلب ليعود ويمارس نقده خارج خطاطة نقد العقل العربي. أراد الجابري في نهاية المطاف أن يتحرر من سلطة مشروعه ـ ولعله فعل ذلك على استحياء ـ لكنه ذهب ضحيته ، لأنه حافظ على مشروعه من الخرم، وحافظ على قدسية ملحمته الكلاسيكية. وحينما تعرض الباحث العربي الشهير إلى أزمات صحية عابرة كان قد التفت إلى أن الانخراط في نقد العقل المنظم والمنتظم بالمعنى اللالاندي الذي ولع به الباحث على طول ملحمته النقدية ، ينسحب شيئاً فشيئاً إلى أحد أخطر أشكال نقد العقل ليس بالمعنى الابيستيمولوجي هذه المرة بل بالمعنى البيولوجي. أجرى الجابري قبل فترة عملية على الرأس في المستشفى الأمريكي. لم يخطئ أحد الصحفيين المخضرمين من زملائه وهو يداعبه: إن ريع العقل العربي يصرف اليوم على العقل الأمريكي. كان رحمه الله مثقفاً متخماً بالأيديولوجيا إلى حد لا يعير انتباهاً إلى خطورتها. لكنه أيضا لم يكن أيديولوجياً فجّا، بل كان أيديولوجياً يدرك لعبة الإسناد المعرفي للأيديولوجية. مرت مشاريعه تداعب كل التيارات وتتجاوب مع كل الأيديولوجيات المؤثرة خلال العشريتين الأخيرتين؛ لقد بدا للبعض سلفياً، كما بدا للبعض ماركسياً، كما بدا للبعض قومياً، كما بدا للبعض علمانيا كما بدا للبعض إسلامياً... كل هذا والجابري يجيب كما أجاب ذات مرة في إحدى محاضراته الممهدة لصدور كتابه وخاتمة مشروعه في نقد العقل العربي: إنني كل هذا الشيء إنني أنطلق من واقع عربي فيه كل هذه الاتجاهات.

كان الجابري صاحب ذكاء سياسي. وما فتئت أجوبته الثقافية أن تكون أجوبة سياسية في كثير من المواقف. إنه يقمع سؤال المثقفين بأجوبة سياسية، كما كان يقمع أسئلة السياسيين بأجوبة ثقافية. فهو مثقف وسياسي مخضرم أجاد لعب هذا الدور المزدوج ؛ غير أنه في نهاية المطاف تراجع إلى الخلف وفضّل الانزواء من ـ دون الانسحاب ـ ليطل على المشهد من أنطولوجيا الكتابة في غياب شبه كامل عن المشهد السمعي والبصري .

حركت أعمال الجابري ـ إلى حدّ الاستفزاز ـ جمعاً غفيراً من النقاد من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. تأخر النقد مغربيا ضده سنوات عديدة ، ما يؤكد أن مشروعه في نقد العقل العربي كان قد امتلك المجال واستولى على العقول. ومع أنني شخصيا كما أكدت في وقتها لم أكن أحس بهذا الانملاك الكبير بمشروعه، حتى أنني لم أتردد في ممارستي النقدية لنصوصه ، إلا أن إحساسا ما يؤكد على أن الجابري

مفكر من المغرب

كان ركنا من أركان الثقافة المغربية والعربية ، يترك حتى عند منتقديه انطباعاً بأن المقارعة الفكرية معه تحقق استمرارية للحياة الفكرية وتبلغ بالفكر العربي مراتب ما كان له أن يبلغها لولا هذا النوع من المقارعة. ويكفي أنه استفز نقاده حتى قدموا في نقده أجزاء وموسوعات أغنوا بها المكتبة العربية؛ على الأقل هم مدينون له بهذا الفضل.

في المشرق انبرى للجابري عدد من النقاد كان آخرهم جورج طرابيشي الذي قدم ملحمة نقدية ضخمة تترصد منهجيته ونقوله على طول مشواره في نقد العقل العربي. وفي المغرب جاءت محاولة طه عبد الرحمن متأخرة لكنها شكلت محاولة من نكهة مختلفة أقامت الحد المنطقاني على تفاصيل نقد العقل العربي.

نقد الجابري صنع عند خصومه الكراهية التي امتدت لشخصه ، وهذا هو عوار الفكر والعقل العربيين. كنت أعتقد أن نصوصه تحتاج بل تغري بالنقد. فأما نقاده فقد تطوروا بفكره ولكنهم لم ينسخوا آراءه. ففي مرات عديدة وجدت في نصوص نقاده إعادة توزيع لآرائه نفسها بلغة جديدة وتنسيق مختلف.

بعدما أنهى الجابري ملحمة نقد العقل العربي مع نقده لمنظومة القيم العربية ، تحرر من نقد العقل العربي ودخل في تجربة أكثر تحرراً ، إذ بدا أكثر جرأة على التراث ـ أعني التراث الذي استند إليه خلال مسيرته النقدية ـ . كانت آراؤه لا سيما ما تعلق منها بالقرآن الكريم انتهاكاً وخرماً لمشروع نقد العقل العربي. ففضلاً عن بعض الآراء التي بدت عند مخالفيه شاذة ـ ليس آخرها تأكيده القول بتحريف القرآن في مظان المسلمين كافة ـ كان قد أغرم بتفكيك الفكر أكثر من إعادة بنائه. وقد وجدت في هذا ما أكدت عليه دائماً، ألا وهو أن الباحث العربي قد يملك الجرأة على القرآن ولا يملك الجرأة نفسها على التاريخ. إن التاريخ أكثر قدسية وخطورة في الفكر العربي من القرآن نفسه. لذا كان الجابري سلفياً محافظاً في مشروع نقد العقل العربي؛ بالأحرى كانت محاولة لإعادة بناء هذا العقل على أسس تستجيب وتتكامل مع مطلب تحقيق عقل المعقول بالمدلول الرشدي وعقل المنقول بالمدلول الحنبلي. هذا التكامل بين محنتين: محنة ابن رشد ومحنة ابن حنبل التي تسند المحاولة المذكورة ، وربما حبك منها الباحث تراجيديا التراث المطلوب تغليبه في هذا التوزيع والتشطير والتجزئة القطائعية التي اكتست عنده طابعا ليس إجرائيا فحسب بل تعدت ذلك لتصبح قطيعة أنطولوجية داخل التراث. لقد أثبت القول بتحريف القرآن ولكنه سلّم بكل الأحكام التي جاءت في التراث. لم تكن المحاولة نقدية جذرية بل كانت تجزيئية وتغليبية بامتياز. لقد غرق الجابري في التراث بعدما حاول تقطيعه إلى خيارات. كنت أرى انعداما في التناسب بين دعوته للنهضة وقسوته على التراث الآخر. فمقتضى الكتلة التاريخية يناقض تغليب تراث على آخر. ومطلب النهضة آبي لإعمال وسيلة الاستئصال النظري للمختلف. جاء كتابي «محنة التراث الآخر» جواباً على تهمة العقل المستقيل التي وسم بها التراث العربي المشرقي، كما جاء كتابي «ما بعد الرشدية» جوابا على مزاعم نهاية القول الفلسفي العربي والإسلامي عند ابن رشد. وما كان لي أن أكتب ذلك لولا هذا الاستفزاز الفكري الكبير؛ لهذا أنا مدين له في ذلك. علينا أن نتعلم شكر من ننتقد؛ لأن لهم الفضل في ما نمارسه وننتجه.

لي مع الجابري حكاية؛ لقد انتقدته قبل أن أراه. وحينما رأيته قبل ١٦ سنة تقريباً على هامش إحدى الندوات ، لم أعرّفه باسمي. كان الحديث معه وديّاً. وكانت بحّته تضفي الكثير من الأنس على تعبيره. اتفقنا على موعد مفتوح لإجراء لقاء حول قضايا فكرية، في انتظار اتصال منّي لم ألتزم به نظرا لسفري خارج البلد. اكتفيت بنقده من بعيد. وحينما ساهمت معه مرة في مجلة «فكر ونقد»، لمست منه معاملة على أصولها المهنية. لم أكن أنتظر من مجلته أن تنشر مقالا لناقد قسا عليه بعض الشيء، ولا حتى كنت أنتظر مكافأة من مجلته، ولكنه فعل؛ وهذا بخلاف الكثير من المثقفين الذين يعتبرون نقد آرائهم نقداً شخصياً يستلزم تصفية الحساب في كل المواقع حتى في الطرقات ، وربما أثّر على صوابهم المعرفي والأخلاقي. لقد كان في الممارسة كبيراً.

كنت أتخيل محمد عابد الجابري في أي موقع رسمي، لكنه ظل بعيداً عن هذه الأدوار والوظائف، بعدما اعتذر منها جميعاً. في هذا الموقف كان بخلاف الكثير من المفكرين، رجلاً زاهداً في المنصب والسلطة. لقد علق عضويته في حزب الاتحاد الاشتراكي، كما رفض العضوية في مؤسسات كثيرة سال لها لعاب مثقفينا.

الجابري مثقف لم يتزلف ولم يحن رأسه ولم يحمل من عقد الكثير من المثقفين المغاربة وغيرهم . يمكنك أن تنتقده مفكرا في صميم مشروعه ، لكنك لن تملك إلا أن تحيي فيه سمته المناضل.

رحم الله محمد عابد الجابري!

يُغسِّلُها مِن ماءِ عَينيهِ حَيدرُ

شعر: علي اسماعيل شاهين

أَليفُ اللَّيَالي أَلطَمُ الخدّ والصَّدرا ... يَصُبُّ الدَّمعُ مِنْ مِحْجَري دُرّا
وَلي زَفرَةٌ أنّى ذَكَرتُ مُصَابَها ... تَضيقُ بيَ الدُّنيا وأفتقدُ الصّبرا
وَلي حَنَّةٌ كالعيس ضاعَ فَصيلُها ... حَنينُ نِياقِ البيدِ إن تَشتَكي الهجرا
وَلي أنّةٌ تُدمي الفُؤادَ بشَجوها ... وَلي صرخةٌ في نارِها تُصهرُ الصَّخرا
فَكَم عَقَدَت نفسي نُذُورَ مُتَيَّم ... فَأَكرَمَها الباري فَأَوفَت لَهُ النِّذرا
فَهاجَ بها شَوْقٌ لأرضِ مُحَمَّدٍ ... جَناحايَ عِشقُ السِّبطِ والبَضعَةِ الكبرى
وَقَفْتُ عَلى بَابِ النبي وَمهجتي ... على أرضِ ذَاكَ القَفْرِ تَلْفِظُها جَمرا
فَتِهْتُ بِذيّاكَ المُصابِ لأنني ... تَذَكَّرتُ أضلاعاً لِفاطِمَةِ الزَّهرا
تُساوِرُني أفعى الهُمومِ وإنَّها ... بنارِ لُعابِ النَّوْحِ أشعلتِ الصَّدرا
أطوفُ بِذاكَ القَفرِ أَلثُمُ تُربَه ... فَأَنْثُرُهُ وَرداً وَأَنظُمُهُ شِعرا
يَفوحُ عبيرُ الطُّهرِ مِن كُلِّ جانبٍ ... لِذاكَ تَرى الأرواحَ مِنْ عُطرِه سَكرى
فَيَجذُبُها نَشرٌ ومِسكٌ لَطيمةٌ ... وَغَصَّةُ مَوتورٍ لَهُ كَبِدٌ حَرّى
فَلَهفي على الدّارِ الّتي كانَ أَهلُها ... مصابيحَ نُورِ اللهِ كيفَ بَدَت قَفرا
فما زالَ سَيفُ الوَجدِ يفتكُ في الحشَا ... وإظفَرُ كفِّ الثَّأرِ يَنهَشُني تَترا
وأعظَمُ خَطبٍ حَزَّ قَلبَ مُحَمَّدٍ ... وَأَدمى لِعَينِ الدّينِ فهيَ لَهُ عَبرى
رَمَتها قَسيُّ النَائباتِ بأسهُمٍ ... فَأحدثَ نَصلُ النَّائباتِ بِها كَسرا
تُحيطُ بِها الأيتامُ وَلهى كَأنَّما ... نُجومُ ليالي البيضِ قَد نَعتِ البَدرا
تَضُمُّ يَتاماها بِأنَّةِ موجَعٍ ... تُكَفكِفُ سَيلَ الدَّمعِ مَثكولةً عَبرى
فصاحوا أيا مَهدَ الحَنانِ أما تَرَى ... جُسوماً سَقاها اليُتمُ مَن كأسِه الضُّرا
يُغسِّلُها مِن ماءِ عَينيهِ حَيدرٌ ... وبالنَّوحِ قَد راحَت تُكَفِّنُها الحورا
تُشَيِّعُها في اللَّيلِ خَيرُ بطانة ... وَيُلحِدُها لَيلاً ويَدفُنُها سِرّا
فَضَجَّتْ لَها الأملاكُ تَندُبُها أَسىً ... وَقاني الدُّموعِ الحُمرِ تَذرُفُها جَمرا
أيا نفسُ ذوبي لِلزَّكيّةِ حَسرَةً ... وضُمِّي رِماحَ الحُزنِ والبيضَ والسَمرا
فَيا قائماً بالحقِّ كَم لَكَ زَفرَةٌ ... تُقَرِّحُ أجفاناً لِذي طَالبٍ ثَأرا
إلامَ لَيالي الهجرِ تَبقى بسيفها ... تَحُزُّ بأشفارِ البِعادِ لَنا نَحرا
بِنَفسي أرى لِلبَدرِ نوراً وَطَلعَةً ... عَقيبَ لَيالي الهَجرِ أَلقى لَكَ الفَجرا

مقتطف من قصيدة طويلة

الكتاب: دروس في أصول العقيدة الإسلامية
نشر: جمعية المعارف الاسلامية الثقافية
إعداد: مركز نون للتأليف و الترجمة، ٢٠١٠

معظم الدروس الواردة في هذا الكتاب ـ ١٨ درساً ـ مقتبسة من كتاب «دروس في أصول العقيدة الإسلامية» للعلامة آية الله الشيخ محمّد ري شهري. وقد أُضيف إليه بعض المباحث في التوحيد والعدل والمعاد تمّ اختيارها من كتب قيّمة لعلماء بارزين كان لهم الدور الكبير في تربية الجيل الجهادي، وإعداده لحمل الأمانة الإلهية الكبرى.

الكتاب: المذهب الإقتصادي الإسلامي / جزءان
المؤلف: مجموعة باحثين
الناشر: مؤسسة دار الغدير، بيروت ٢٠١٠

صدر مؤخراً كتاب لمجموعة من الباحثين في الفكر والإقتصاد الإسلامي عنوانه «المذهب الإقتصادي الإسلامي» وهو من قسمين: يتحدث الأول عن المبادئ العامة والخصائص المتعلقة بالمذهب الإقتصادي الإسلامي، ويتحدث الثاني عن المعاملات البنكية والتنمية.

في القسمين المذكورين تناولٌ لرؤى ونظريات أبرز العلماء المسلمين في الشأن الفقهي والإقتصادي حيث تمّ التركيز في هذا الإطار على كتابات الشهيد محمدباقر الصدر في كتابيه: «إقتصادنا» و «البنك اللاربوي في الإسلام».

من خلال هذه الدّراسة سيكتشف القارئ، المدى الذي وصل إليه الإجتهاد الإسلامي في فقه الإقتصاد وأفق هذا الإجتهاد ونواقصه.

الكتابان يصدران ضمن سلسلة كتاب المنهاج رقم ١٦.

الكتاب: الإستراتيجية الإسلامية ٢٠١٠:
خطة مقترحة للنهوض بالأمة الإسلامية
المؤلف: عباس آل حميد
الناشر: دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٠

يقترح المؤلف خطة استراتيجية عامة من أجل درء المخاطر المحدقة بالأمّة الإسلاميّة وتخليصها من نقاط ضعفها، متسلّحاً بخبرته التي تناهز العقدين من الزّمن في معالجة المخاطر الإستراتيجيّة وقيادة عمليات التطوير الشاملة لدى كبريات المؤسّسات المهنيّة العالمية وعدد من الأجهزة الحكوميّة العربيّة.

وفي السّياق، يستند المؤلف آل حميد إلى تحديد التّوجهات الإستراتيجية للأمة، مناقشاً القضايا الملحّة المحيطة بها، محدّداً مكامن القوّة والضّعف والمخاطر التي تتربّص بها، ومعرّفاً بأصحاب المصالح المعنيّين بهذه الإستراتيجيّة الإسلاميّة، ليخلص إلى جملة من المبادئ والإجراءات الكفيلة بتحقيق الهدف المنشود.

عن العقل والدين

قد يكون الكلام في ثنائية العقل والدين هو أكثر مجالات الجدل اتساعاً في الفكر الإنساني بعامّة، والإسلامي بصفة خاصة. ولئن ذهب كثيرون من العلماء والفلاسفة والمفكرين القدماء إلى التناقض نفسه بين العقل والدين وبالتالي بين الفلسفة والشريعة، فقد ظلّ الإشكال الأصلي على حاله، وظلّت هذه الثنائية تحكم منظومات الأفكار إلى أيامنا الحاضرة.

كتاب «العقل والدين – في تصورات المستنيرين الدينيّين المعاصرين» للباحث الإيراني محمد جعفري، الصادر عن مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي في بيروت، يدخل بعمق على خطوط الإشكال متعدّدة الإتجاه.

ينطلق المؤلف من مقدمة كبرى ترى السبب الأول لظهور الفرق والمذاهب الفقهية والكلامية المتنوعة في تاريخ الفكر الإسلامي، إنما يعود إلى تشخيص حدود كلّ من العقل والدين وطبيعة العلاقة بينهما. ثم أنّ إشكالية العقل والدين لا تزال إلى اليوم من أهم قضايا فلسفة الدين، حيث تدور معظم التحديات والإختلافات بين فلاسفة الدين المؤمنين وفلاسفة الدين الملحدين حول هذه الثنائية الكلامية والفلسفية بأبعادها المختلفة.

لعلّ النقطة الأهم في هذا الكتاب أنّ المؤلف يركّز مناقشاته وتحليلاته بصدد هذا الموضوع المهم على درس ونقد وتحليل ما ذهب إليه عدد من المفكرين الإيرانيين المعاصرين في مسألة العلاقة بين الدين والعقل.

الكتاب: كتاب العرشية LE LIVRE DE LA SAGESSE DU TRONE
المؤلف: صدر الدين الشيرازي
ترجمة: أحمد يوسف و فيليب موليني
الناشر: دار البراق والمكتبة الشرقية في باريس2010

صدر حديثا باللغة الفرنسية في باريس « كتاب العرشية » للحكيم الإلهي صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا) .

يدخل هذا الكتاب في إطار تعريف المجتمع الثقافي الأوروبي ولا سيما النخب الأكاديمية في كليات الفلسفة واللاهوت بواحد من ابرز معالم الحكمة المتعالية .

المعروف عن « كتاب العرشية » أنه رسالة في بعض مسائل الحكمة المتعالية، بعضها يندرج في آيات القرآن الكريم، وبعضها الأخر في العلم باليوم الآخر. وهذان العلمان – حسب صدر المتألهين – هما أشرف العلوم الحقيقية التي بها يصير الإنسان من حزب ملائكة الله المقرَبين , وبإنكارهما يقع في ضلال مبين، ويخرج عن ربطة المؤمنين ويحتجب عن جمال رب العالمين، ويحشر مع الشياطين .

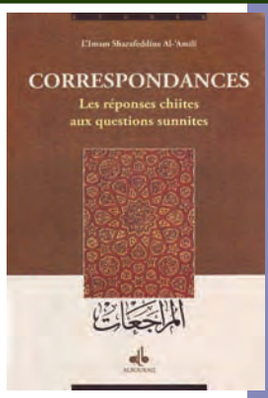

الكتاب: المراجعات CORRESPONDANCES
المؤلف: السيد عبد الحسين شرف الدين
ترجمة: راغدة عسيران
الناشر: دار البراق والمكتبة الشرقية في باريس 2010

في إطار مشروع الترجمة إلى الفرنسية صدر عن دار البراق والمكتبة الشرقية في باريس كتاب « المراجعات » للإمام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين.

جاء الكتاب بحلته الجديدة مترجماً إلى اللغة الفرنسية ليتقَدم واحداً من أبرز المنجزات الكلامية المعاصرة في التاريخ العربي– الإسلامي. ذلك أن المعروف عن هذا الكتاب الذي وضعه العلامة شرف الدين في الخمسينات من القرن الماضي، هو أسلوبه الجدالي المميز بالطابع العلمي. الأمر الذي يمنح النقاش الحالي حول النهضة الإسلامية ووحدة الأمة والحؤول دون استمرار الفتنة المذهبية، سياقاً عقلانياً، من شأنه أن يرسي قواعد معرفية وأخلاقية للنقاش الفكري والعقائدي بين النخب الإسلامية المعاصرة. يتضمن الكتاب أيضاً ترجمة لتعليقه شيخ الأزهر الشريف الشيخ سليم البشري على آراء العلامة شرف الدين.

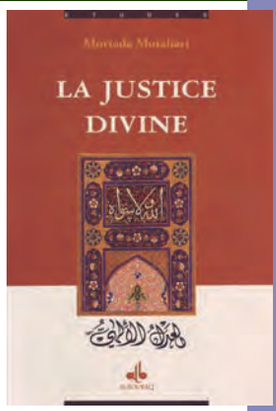

الكتاب: العدل الإلهي LA JUUSTICE DIVINE
المؤلف: الشهيد مرتضى مطهري
ترجمة: راغدة عسيران
الناشر: دار البراق والمكتبة الشرقية في باريس ٢٠١٠

يعد كتاب «العدل الإلهي» من أهم الأعمال الفلسفية التي أنجزها الفيلسوف الإسلامي الشهيد مرتضى مطهري في خلال النصف الثاني من القرن المنصرم. وقد حظي لحظة صدوره باهتمام واسع من حانب المفكرين ورجالات اللاهوت والفلاسفة المعاصرين. يشير الفيلسوف الشيخ مطهري في مقدمته إلى أن مباحث الكتاب قد اختيرت بصورة واعية، لا عن طريق الصدف والاختيار العشوائي. والبحوث ذات منحيين: نقلي وعقلي. الأولى اعتمد على آيات القرآن والروايات المأثورة عن الرسول والأئمة الأطهار. أما في الثانية، أي المنحنى العقلي فقد بان أمام المؤلف طريقتان: الطريقة الكلامية والطريقة الفلسفية. ولكنه اعتمد في كتاب (العدل الإلهي) الطريقة الاستدلالية التي اخذ بها الحكماء والفلاسفة، وهو ما يفيد إلى حدٍ بعيد في بلوغ رؤية العلماء المسلمين المتأخرين لموضوع فلسفي في غاية الأهمية هو موضوع العدل الإلهي.

الخوف من الإسلام

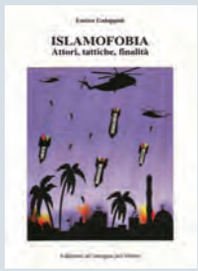

الكتاب: الخوف من الإسلام: الأبطال، التكتيكات والأهداف ISLAMOFO– BIA: Attori, tattiche, finalita

المؤلف: إنريكو جَلوبيني

الناشر: Edizioni all'insegna del Veltro, Parma – Italia, 2010

هذا الكتاب ـ باللغة الإيطاليّة ـ يجمع سلسلة من المقالات المنشورة للكاتب في الفترة من 1999 إلى 2007.

يمثل الكتاب محاولة لوضع ظاهرة الخوف من الإسلام في إطارها التاريخي والثقافي، وذلك ليس بشرحها فقط مثل كثير من الأوجه التي تشتمل على « تحامل »، ولكن كضرورة لا يمكن الإستغناء عنها في إطار حملة دعائية غربية تهدف إلى جعل الإسلام مشكلة. إن الهدف، بدون شك، واضح، ألا وهو عمل « تغطية أيديولوجية » لسلسلة من العدوان من جانب الغرب ـ وفي مقدمته الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى و« إسرائيل » ـ حيث إن لديهم النية في إكمال هذا العدوان على هذا الجزء من العالم الذي تسكنه أغلبية من الشعوب المسلمة. إن تحديد العلاقة بين الإستراتيجية الجيوسياسية لحلف شمال الأطلسي، والخوف من الإسلام يمثلان أحد ملامح خصائص هذا الكتاب، حيث أن تكتيكات أبطال حملة التشويه الإعلامية عن الإسلام والمسلمين، وأهدافهم التي يودون الوصول إليها بكل وضوح هي تقديم « معلومات » بهدف خلق « العدو الإسلامي » سواء في الداخل متمثلاً في « جاليات المهاجرين المسلمين »، أم في الخارج متمثلاً في « شعوب الشرق الأوسط والأدنى ».

صدر العدد الرابع عشر من مجلة «مدارات غربية» وتتمحور موضوعاته تحت عنوان «الإنترنت: ثورة النبأ الجلل».

جاء في الإفتتاحية التي كتبها رئيس التحرير محمود حيدر بعنوان: «تقنيات النبأ الجلل»: كأنّ الخطاب الإعلامي السياسي و«ميديا الإنترنت» كأساس فيه، هو خطاب موّلد للحقائق، بقطع النظر عمّا إذا كانت هذه الحقائق أخلاقية أو غير أخلاقيّة.

من أبرز كتاب هذا العدد الفيلسوف الفرنسي ميشال سير، الباحث البلجيكي جان كريتيان اكنبو والكاتب اليوناني ايڤ غونزاليس كيجانو. بالإضافة الى وثائق وتقارير حول ثورة الإنترنت وآثارها على التحولات الجارية في العالم.

صدر عن معهد المعارف الحكمّية العدد العشرون (شتاء – ربيع 2010) من مجّلة «المحجة» المتخصّصة بشؤون الفكر الديني والفلسفة الإسلاميّة.

يتناول ملف العدد مسألة (الزمان) في قراءات لجملة من الباحثين الإسلاميين والغربيّين، بينها:

قراءة لبؤرة الإشكال في تعاطي الفلاسفة مع الزمان، للشيخ شفيق جرادي.

أقوال الفلاسفة في حدوث العالم، للباحث الايراني سّجاد رضوي ضمّنها معالجة ذات فرادة للميرداماد الذي يصيغ آراء سابقيه في الزمان في نسق متماسك يستعين به لمعالجة مشاكل فلسفية أخرى، من قبل البدء وإلى الملف، تطالعنا «المجلة» بمجموعة الدراسات والأبحاث والفلسفيّة. فيعيد عبد الرسول عبوديت قراءة وأصالة الوجودة واعتبارية الماهية). ويرى السيد حسين نصر أن مسار تطور الفكر في الوسط الغربي كان مسار نزع القداسة عن العقل.

بدوره قدّم حبيب فياض قراءة لاجتماع فلسفي اللغة والتأويل على أرضية واحدة ما يعد بمنهج جديد يُنبئ بتخطي المشكلات التي واجهتالفلسطينيين كلاً على حده. في الدراسة الرابعة، يستوضح عبد الرحمن الحاج ما إذا كان الجابري في تفسيره للقرآن قد قدم جديداً أم أنه عدد أعمال السابقين المستشرقين منهم على وجه التحديد.

وأخيراً، يعرفنا بولس الخوري على فكرة «القُدْسيّ» عند ردولف أوتو.

شريط صوتي جديد للشهيد محمد باقر الصدر، عثر عليه مؤخراً في مدينة قم، نشرت مضمونه مجّلة (المنهاج) الصادرة عن مركز الغدير للدراسات مستهلّة به عددها الجديد (٥٦، شتاء ٢٠١٠).

يتضمن الشّريط كلمة للشهيد الصدر من ستينيات القرن الماضي تناول فيها خصائص الفكر الإسلامي.

ويتضمّن العدد اللجديد من (المنهاج) الفكرية الإسلامية المتخصّصة مقالات ودراسات لباحثين وأكاديميين إسلامين، منهم الشيخ محمد شقير متطرقاً الى عوامل نشأة ظاهره التكفير وطرق علاجها.

الشيخ نجف علي ميرزائي متناولاً مشاريع التقريب الدكتور محمد عبدالله عطورات في دراسته «المنكوبون من العلماء بالأندلس».

لو ديبا

Le Debat

فصلية إسلامية باللغة الفرنسية.

صدر العدد الجديد الثالث(ربيع 2010) من المجلة الفصلية المتخصصة في التقريب بين الجماعات والثقافات. وهي تحمل إسم *Le Debat* (جدل أو حجاج).

في هذا العدد طائفة من الابحاث والمقالات حول قضايا اسلامية فكرية معاصرة.

الملف بعنوان «المذهبية والطائفية في الإحتماع الإسلامي»، بالإضافة إلى ندوة حول «حزب العدالة والتنمية» كنموذج جديد للإسلام السياسي في تركيا.

في الملف نقرأ مقالات وأبحاثاً متنوعة حول المذهبية والطائفية في المجتمع الإسلامي، شارك فيها كلّ من الباحثين والمفكرين، جعفر المهاجر، حسن سلهب، سمير سليمان، علي الشيخ عمار، علي بن مبارك، حسين رحال، إبراهيم الموسوي، عبدالودود غورو.

في باب المقالات والدراسات الحرّة نقرأ للباحثة راغدة عسيران مقالاً تحت عنوان: «القدس في خطر، إستمرار التطهير العرقي والديني».

وللشيخ شفيق جرادي مقالاً بعنوان: «الله في منظومة قيم المعرفة والإختلاف».

وللسيد صدرالدين فضل الله مقالاً حول «أسس الحوار في الإسلام».

يُذكر أنّ هذه المجلة تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في بيروت.